اقبال لم يكن متوقعا يوم ٢٠٠٥/١/٣٠

الاعظميون تحدوا الإرهابيين وتوجهوا بكثافة إلى مراكز الاقتراع..

اياد عطية
تصوير: نهاد العزاوي

لماذا غير جارنا ابراهيم رأيه وموقفه من المشاركة في الانتخابات بعد ساعات قلائل من بدء العملية الانتخابية؟ و هو الذي كان يجادل في اهمية الانتخابات، ويتمسك باصرار بضرورة الالتزام بدعوة الاطراف التي طالبت بمقاطعتها.
ابراهيم قال لي: عشية الانتخابات لن اشارك خاصة بعد فاصل من اصوات القذائف والاطلاقات والمواجهات التي شهدتها الاعظمية في تلك الليلة، والتي دفعته إلى التأكيد بانه لن يذهب احد إلى صناديق الانتخابات، فليس هناك من هو مستعد للموت من اجل ان يضع ورقة في صندوق!
قلت له: الا ترى انهم يوجهون اطلاقاتهم ورصاصهم عشوائياً؟ الا ترى انهم يثيرون الفزع والرعب ويهربون من المواجهة؟ وان رصاصهم موجه إلى قلوب وضمائر العراقيين أكثر مما هو موجه إلى الامريكان؟

في صبيحة يوم الانتخابات خرج ابراهيم الى الشارع بعد ان استمع إلى اخبار الانتخابات عبر الفضائيات.. غير ان المفاجأة التي كانت تنتظره كبيرة ومذهلة وغير متوقعة.. اقبال كبير على مراكز الاقتراع والمواطنون في الاعظمية يتوجهون بحماس وزهو وتحد منقطع النظير إلى صناديق الاقتراع لم يصدق ابراهيم ما ترى عينه وما تسمع اذنه.

حتى انت يا عبود؟!

كان عبد الرحمن جبوري (٣٦) سنة وهو اقرب ا صدقاء ابراهيم وابن منطقته اول المواطنين الذين شاهدهم عائدين إلى منازلهم بعدا ن ادلوا باصواتهم في الانتخابات.. عندها لم يتمالك ابراهيم نفسه واستوقف عبد الرحمن قائلا باستنكار ودهشة.. حتى انت يا عبود ذهبت إلى الانتخابات؟ الست انت الذي كنت البارحة تشتم الحكومة والاحزاب وتلعن الامريكان؟ ما الذي دعاك اذن إلى الذهاب إلى مركز الاقتراع؟!

خوفي على الحرية

اجابه وهو يرفع اصبعه المغمس بالحبر الازرق.. مازلت اشتم هؤلاء .. ما زلت العن الامريكان.. لكني ذهبت من اجل مستقبل بلادي.. من اجل مستقبل،طيف

مواطنون: خوفنا على قيم الديمقراطية جعلنا نهزأ من الإرهابيين.

وهبة ولديّ.. الذي دفعني للذهاب هو ضميري وحبي للعراق.. هذه الانتخابات ليست انتخابات علاوي واياور.. هذه انتخابات الشعب العراقي. وانا اخترت الشخص الذي اثق به ليمثلني في كتابة مستقبل العراق.. هل تريدني ان اترك مستقبل ابنائي.. اعطني سببا مقنعا واحدا يجعلني امتنع عن المشاركة في هذه الانتخابات؟ قال ابراهيم.. الا تخشى على نفسك من المسلحين.. الا تعرف انهم هددوا بقتل الناخبين؟
. نعم.. خفت من الموت.. لكن خوفي على الحرية كان اكبر.. الحرية التي استنشقنا نسائمها.. خفت عليها ان تضيع.. لو تعرضت الحرية إلى التدمير في العراق فهل تضمن لي حياتي حتى الصباح ان شتمت الحكومة؟.. الا ان (افش) غلي في شتم الحكومة والوزارات لكني انام قرير العين بحماية الحرية.. اليس هذا وحده سببا قويا وكبيرا يدفعني للذهاب إلى مراكز الاقتراع لا دافع عن الحرية! ثم استدرك عبد الرحمن معاتباً ولائما لابراهيم: يا اخي بدلا من هذه الاسئلة.. خذ عائلتك وتوجه إلى مدرسة خالد بن الوليد وساهم في الدفاع عن عراق الحرية وشارك في الانتخابات.. وثق ان صوتك سيكون له تأثير في مستقبل العراق وتأثير على كتابة الدستور.. اذهب وانتخب العراق قبل ان تفكر بانتخاب قائمة معينة.. فكر وارجو ان لاتطيل التفكير .. فالوقت ينفد.. ساعود اليك بعد ساعة وكل ما ارجوه ان تحسم امرك ولا تخف ولا تتردد.

انتخب الحرية

بعد ساعة عاد عبد الرحمن وطرق باب منزل ابراهيم لكن لا احد يجيب.. كرر الطرق مرة ومرتين دون جدوى وليس هناك من يجيب.. لكن (ام انيس) جارة ابراهيم فتحت باب منزلها واخبرت عبد الرحمن بان لاأحد موجود في البيت.. فابراهيم اصطحب عائلته وذهب إلى مركز الاقتراع.. تمتم عبد الرحمن: خيرا فعل!

لب الجوز

فيما بعد قال ابراهيم لصديقه: شاهدت في المركز الانتخابي عجوزاً في السبعين من عمرها قلت لها: ما الذي جاء بك يا حاجة إلى هنا وانت بهذا العمر؟ وماذا تفعل لك الحكومة المنتخبة؟ وماذا تريدين ان يكتبوا لك في الدستور؟.. قالت المرأة اريد ان اطمئن على مستقبل احفادي وابنائي.. اريدهم ان يعيشوا بامان وحرية ومستقبل مضمون اريد لهم ما حرمت منه.. فلب الجوز اغلى من الجوز كما يقول المثل الموصلي وانا موصلية.. فانا هنا من اجل احفادي ومن اجل اطفال العراق...

اقبال مذهل

في مركز المثنى الانتخابي شاهدنا اقبالا مذهلا وغير متوقع على صناديق الاقتراع.. فقد توافد المواطنون من كل احياء الاعظمية على هذا المركز، بعد ان تعرض عدد من المراكز الانتخابية في الاعظمية إلى اعتداءات وسقوط عدد من قذائف (المورترز) فيها، الامر الذي دفع المشرفين إلى نقل هذه المراكز ودمجها مع مراكز اخرى.. يقول الشيخ انمار عيسى المرشح على قائمة (عراقيون).. لقد فوجئت بحجم المشاركة في منطقة الاعظمية واستطيع ان اجزم لك بان معظم مواطني محلتنا (٣٠٤) شاركوا ف هذه الانتخابات، وهناك مواطنون قطعوا مسافات طويلة سيرا على الاقدام لكي يدلوا بأصواتهم ويعبروا عن اختيارهم للتحولات الديمقراطية للعراق الجديد وكوني مرشحا على القائمة (٢٥٥) فانا لا انظر إلى النتائج الآنية التي ستسفر عنها هذه الانتخابات ولكن انظر إلى النتائج المستقبلية الكبرى ومن ضمنها المشاركة الواسعة لابناء الشعب العراقي من مختلف الطوائف والقوميات، الذين عبروا من خلالها عن خيارهم للديمقراطية وقيم الحرية والعدالة، ورفضهم للارهاب والاستبداد.. هذا الوعي وهذه النظرة هي التي حفزت ابناء الاعظمية على تحدي كل الظروف الصعبة والتوجه إلى صناديق الاقتراع للادلاءباصواتهم..

لست مستعدا للتنازل عن حريتي

وفي مركز خالد بن الوليد..، الذي شهد هو الاخر اقبالا كبيرا من المواطنين للادلاء باصواتهم.. قال لنا المواطن ابو احمد (٤٥ سنة) من محلة (٣٠٦): لقد اثبت ابناء الاعظمية انهم متمسكون بقيم الديمقراطية والحرية.. وانهم لا يقلون شجاعة عن باقي ابناء العراق الذين فاجأوا العالم كله بتحديهم لقوى الارهاب.. واستدرك قائلا: يا اخي هؤلاء الارهابيون حمقى واغبياء لانهم يقاتلون الحرية والقيم الديمقراطية وليس هناك انسان في الدنيا مستعد للتنازل عن حريته لمصلحة هؤلاء المتطرفين.. انا اشعر بالاسف لأن بينهم عراقيين والمفروض من ابناء العراق ان يرفعوا اسلحتهم ويدافعوا عن قيم الحرية والديمقراطية لتحقيق استقلال البلد نهائيا بدلا من محاولاتهم لتدمير الديمقراطية واشاعة الخوف والارهاب والتدمير والاستبداد.
اما الحاجة ام طارق (٥٥ سنة).. فقالت: لقد حضرنا إلى مركز الاقتراع انا ونساء منطقتنا، واننا ندعو الله ان تنجح هذه الانتخابات لاننا نريد الاستقرار والامن لبلدنا العزيز..
اما جارتها ام رحمن (٦٠ سنة) فقالت: الفضل في مشاركتي بهذه الانتخابات يعود إلى جارتي ام طارق لانها هي التي شجعتني على الحضور والمشاركة.. و الحمد لله اخترت الاشخاص الذين اثق بهم وباخلاصهم للوطن.

تحت الضوء

عرس طال انتظاره

عامر القيسي

كل المحللين والمراقبين السياسيين والصحفيين وقادة الدول الذين كانوا مع اجراء الانتخابات في موعدها، عراقيين وعرباً واجانب، وقفوا اجلالا ودهشة لذلك الصباح الكانوني الجميل، وهم يتابعون من على شاشات الفضائيات، الزخم الشعبي للاقتراع والذي كان، حسب اعترافهم، خارج توقعاتهم.. التوقعات المكتبية... طبعا، فشعب من طراز الشعب العراقي نادر، وفي لحظات قساوة المحنة، على ان يقلب الموازين والتوقعات ويعيد قراءة الواقع السياسي بطريقة، جديدة واعية. المثير في الامر وهو ما يحصل نادرا في تواريخ الشعوب ان هذه الملايين قد تجاوزت إلى حد بعيد. كل حسابات النخب السياسية العراقية التي للاسف كانت تنظر إلى جماهيرها باعتبارها اعدادا في صناديق الاقتراع وليس صناعا للحياة وللتاريخ نفسه!!
اما الذين كانوا يرغبون بالتأجيل. باختلاف النيات والتوجهات فربما لم تتوفر لهم فرصة مشاهدة المعاقين والمسنين. من كلا الجنسين. وهم يتحنون بحبر اللحظة التاريخية، اما اولئك الذن حاولوا التشكيك بوطنية هذا الاقبال فمنهم من قال، بأنه اقبال طائفي، ومنهم من قال، بانهم تعكزوا على بعض هفوات مفوضية الانتخابات، وهي هفوات تحصل في ارقى فعالية من هذا الطراز في البلدان الي سبقتنا اشواطا بعيدة في مضمار الانجاز الديمقراطي. و اخرون حاولوا قتل لحظة الفرح فينا. فرحتنا ونحن نصنع التاريخ والحياة من احضان الموت!!
فسؤالنا موجه لهم
. لماذا لا يسألون الناخب، الذي غمس سبابته بحناء الحبر، ان كان يتوقع الموت في أي لحظة وهو في الطريق إلى صندوق المستقبل؟ هناك سيجدون الاجابة الشافية والحقيقية والتي لا تقبل الطعن القانوني أو السياسي.
اما اولئك الذين طعنوا . مصرين . في شرعية الانتخابات وراهنوا بكل (ما لا يمتلكون) من رصيد بان الإرهابيين سيكونون اسياد الشارع يوم الانتخاب فانهم اختفوا والحمد لله من شاشات الفضائيات "النزيهة" واحسسنا للمرة الاولى، انهم ليسوا من ذوات الدم البارد! وللحقيقة الطاغية. فان الحدث كان اكبر من كل تنظيراتهم المشبوهة. فهم امام خبر، بالصورة والصوت والزغاريد والاعترافات الخجولة للمترددين.
. فأي شيء يكذبون؟
اختفوا، كما لو ان (حوت ا لقمر) قد ابتلعهم. لهؤلاء نقول اعيدوا ا لنظر في مواقفكم من الشعب العراقي وقضاياه واستحقاقاته الكبيرة القادمة. وبطيبة قلب هذا الشعب.
نقول أيضاً، نستطيع ان نسامحكم مرة اخرى، كما سامحنا وما زلنا نسامح من اساءوا الينا سابقا. تعلموا هذا الدرس جيدا. في الجرأة والشجاعة والارادة والتسامح وصنع التاريخ الحقيقي. وشعبنا الطيب الصابر وبكل اريحية يدعوكم لمشاركته في العرس الذي طال انتظاره.

ثلاثة شهود عيان يتحدثون لـ (المدى) عن جرائم الحرس القومي سنة ١٩٦٣

قطيع ذئاب انبجس علينا صبيحة يوم ٨ شباط المشؤوم

عبد الزهرة المنشداوي

بقيت عالقة في الذاكرة تلك الأيام العسيرة والسود أيام انقلاب ٨ شباط ,١٩٦٣ أيام الحرس القومي من ذوي الملابس الكاكية والاوشحة الخضر التي كانوا يضعونها على سواعدهم تميزا عن غيرهم ، وسلاحهم الموحد "رشاشة بورسعيد" التي كانوا يثيرون بها الخوف والهلع بين السكان وكأنهم خرجوا فجأة من عصور الهمجية يستبيحون الاعراض ويكيلون الشتائم دون تمييز لكل من صادفوه في الطريق أو على عتبة باب.

صبيحة الانقلاب

لقد ساقونا مثل قطيع الاغنام امامهم صبيحة الانقلاب المشؤوم وكنا جميعا من منتسبي دائرة تابعة للاصلاح الزراعي في بغداد/ منطقة العطيفية. هذا ما تحدث به الينا زيدان خلف الدوري من سكنة محافظة صلاح الدين. وواصل حديثه قائلا: وتحت تهديد السلاح تم جمعنا في ملعب لكرة القدم من دون ان نعرف الاسباب التي دعتهم إلى ذلك. ولم يسمحوا لنا بمجرد الاستفسار عن الحال التي نحن فيها و امضينا الليل تحت وطأة برد شباط القارس، وكان جلنا من ا لصائمين الذين لم يحظوا بطعام الافطار.
اقتادونا بعدها إلى الكلية العسكرية في الرستمية. و في اليوم التالي كان احد اشقائي يبحث عني وقد استطاع الوصول إلي بعد ان استعان بافراد من الحرس القومي كات تربطهم به علاقة ما وقدا ستفر عن اسباب الاعتقال هذا فأجابوه بانني من الذين حملت السلاح ضدهم صبيحة الانقلاب في حين كنت في تلك الصبيحة داخل محل عملي مع الاخرين. ان جرائم هؤلاء كثيرة وقد جمعت على ما اعتقد في مجلدات ضخمة وبالاطلاع عليها سوف يتوضح ما اقترفوه من جرائم وانتهاكات بحق الناس في ذلك الوقت، وهي جرائم لايمكن نسيانها بحال من الاحوال كما ان الخوض في تفاصيلها ليست بالامر الهين من ناحية استعادتها من طيات الذاكرة بعد تراكم كل هذه السنين.

(معلم) متمنطق بخنجر!

اما السيد نوار عزيز المفرجي من الشرقاط ويسكن في الوقت الحالي في قضاء الدور فقد تحدث قائلا: يكفيني ان اذكر لك مشهدا واحدا من رعب تلك الأيام التي اعقبت الاطاحة بالزعيم عبد الكريم قاسم على يد هذه الزمرة التي يمكن تشبيهها بقطيع من ذئاب انبجس علينا فجأة صبيحة يوم ٨ شباط المشؤوم وكنا في قرية نائية بالشرقاط، فلقد جاء الينا معلم المدرسة متمنطقا بخنجر معقوف وهو يرتدي الدشداشة على خلاف ما كان يرتديه المعلمون من زي مهندم، واشاع منظره هذا بيننا وكنا طلبة صغارا الخوف والرعب. وقد حسبنا ان التلميذ الذي سوف يخطأ في درسه ستكون عقوبته الذبح من الوريد إلى الوريد بدلا من العصا الصغيرة أو المسطرة الخفيفة التي درج على استخدامها في معاقبة من يخطأ في الدرس أو يسيء السلوك! وقد لاحظ احد مفتشي المدرسة حينها الهلع البادي علينا من رؤية هذا

صاحب الخنجر هذا فانتحى به جانبا ليبين له ما كان ينعكس على و جوه الطلبة الصغار من خوف جراء رؤيتهم خنجره الطويل فما كان منه إلا ان انهال على المفتش المسكين بالضرب المبرح والسحل داخل باحة المدرسة!. وكان ذلك المنظر قد التصق بخميلتنا ولم يمح منها حتى الان. في حين كان قسم من الحرس القومي امتهن تسليب الفلاحين العائدين من السوق ماكانوا يحملون من قناع بعد ان ابتاعوه بالمحاصيل التي جنوها.. كانت اياما سودا بحق. تسيد فيها الصعاليك والقتلة وحكموا الناس برشاشة البورسعيد التي ظهرت انذاك بظهورهم وسيق الكثير من ابناء قريتنا بدعوى الانتماء إلى الحزب الشيوعي أو مساندتهم لعبد الكريم قاسم واكثرهم غيبوا ولا احد يعلم مصيرهم لغاية الان.

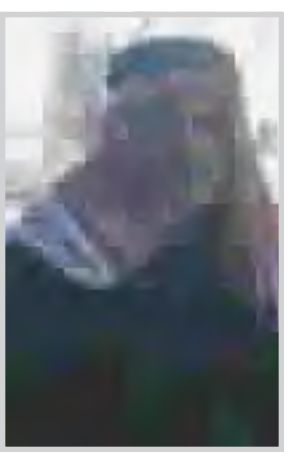

حين حومت الطائرات فوق وزارة الدفاع

في حين انصبت ذكريات احمد حيدر نوفل على تلك المشاهد التي رآها صبيحة ذلك اليوم المشؤوم وبقيت محفورة في ذاكرته كالاخاديد العميقة وتحدث مستعيدا تلك الأيام: كنت في التاسعة من عمري وفي صبيحة ذلك اليوم استيقظت مبكرا لأرى ابي وبعض الرجال من جيراننا وهم يعتلون سقوف الصرائف الطينية التي كانت منتشرة في وسط بغداد في جانب الكرخ (منطقة الشاكرية) التي يحتلها في الوقت الحاضر نصب الجندي المجهول. كانوا يراقبون قصف الطائرات التي تحوم فوق وزارة الدفاع محل اقامة الزعيم. كان الفصل شتاء والشهر هو شهر رمضان وكانت السماء مدلهمة ورمادية بفعل الغيوم على ما اظن، ان لم تكن نفسي هي التي كانت تسبر هذه الاجواء ذلك اليوم.

لقد بلغ احد الجيران، من الذين كانوا يعتلون اعلى الصرائف، الحنق الذي دفع به إلى اعلان افطاره لعدم تحمله ما كان يدور في تلك الساعة. وبقيت في الاسفل اراقب ابي والاخرين والتعليقات التي كانوا يطلقونها انذاك، وخاصة حين اعلمهم شخص ما بأن (جلال الاوقاتي) وجد مقتولا امام بيته، وعرفت منه بأن، جلالا هذا كان من الطيارين الافذاذ، والذي يحسب له الف حساب فيما لو استطاع الوصول إلى طائرته. فثبط ذلك في نفوسهم وتأسفوا له وكأن ورقة رابحة قد احترقت بأيديهم.
لكن سماعي لهدير اصوات في المحطة العالمية جعلني اكف عن مراقبتهم، وانخرط مع جماعة سارت على خط سكة الحديد التي تنتهي إلى المحطة العالمية في العلاوي. ووجدت نفسي بين مجموعة من "شباب شجعان" متحمسين يحملون هراوات وسكاكين وما وقع بايديهم من قضبان حديدية، تسلحوا بها، وكانت وجهتهم وزارة الدفاع للالتحاق بالزعيم والدفاع عنه وقلة منهم كان يحمل سلاحا ناريا فسرت غير مبال بما قد تؤول اليه الامور.
لم يكن عبد الكريم قاسم يمثل لي غير صورة جميلة كانت جدتي تضعها بين صور الأئمة معتقدة بان احاطتهم بصورته سيكون له حفظا وامنا دائما. كانت تحبه لانه اطاح بذلك النظام الاستعبادي، نظام الاقطاع اللعين مع الاخرين وان كنت لا اعلم مقصدهم.
وقبل الارتقاء على ظهر جسر الجمهورية من جهة الكرخ، كان الجميع يندفع نحو عسكري يقود دراجة نارية، كنا نطلق عليها اسم الدوبة وهي تتسع لشخصين مما كان يستخدمها الشرطة وانضباط الجيش العسكري، فسألوه هل الزعيم لايزال حيا وأجابهم بالايجاب فأنهالوا عليه تقبيلا ورفعوه إلى الاعلى مهللين ومستبشرين مؤكدين بانهم سوف يقفون إلى جانبه ليمنعوا عنهم الشر.
لم اكن من قبل قد سنحت لي الفرصة بالعبور من جانب الكرخ إلى الرصافة لهذا لم اكن على دراية بشعاب جانب الرصافة الغريب عني بطرقاته وتعاريجه. واذكر بانني استطعت الوصول إلى وزارة الدفاع في باب المعظم، عرفت ذلك فيما بعد، فلم اكن اعلم بأن السياج الذي امسكت به مع الاخرين يعود لهذه الوزارة ولم اكن اعلم بان الجمع الذي كنا في وسطه كان قد بيت النية على الوصول إلى مقر الزعيم ومطالبته باعطائهم السلام لكي يدافعوا به عن ثورتهم كل ذلك لم يكن ببالي وعرفته فيما بعد وبعد مضي سنين.
ولقد دوى صوت انفجارات وازيز اطلاق نار جعلني اطلق ساقي للريح لاصل بعد جهد جهيد إلى البيت لارى ابي بانتظاري وقد اقلقه غيابي وذهبت به الوساوس مذهبا بعيدا، خاصة ان البلد كان يموج بالعنف والقتال ما بين مدافعين ومهاجمين.
ومازلت اذكر الضرب المبرح الذي انهال به ابي على جسدي النحيل والذي كاد يؤدي بي.

نيران اسلاك الكهرباء

ولكني نسيت كل ذلك وانا اسمع باخبار هجوم افراد على مركز الشرطة القريب منا واستيلائهم على الاسلحة ليدافعوا بها مع انصار الزعيم عن الثورة. لكن صباح اليوم التالي قد ا ظهر عكس ذلك، فلقد وجدنا الشوارع وهي تعج بافراد الحرس القومي يهددون بسلاحهم كل من يجرؤ على مد رأسه من نافذته أو باب بيته. ورأيتهم بام عيني وهم يطلقون نيرانهم على اسلاك الكهرباء ويتطاير الشرر منها وبدا لي ان السماء تبعث بصواعق محرقة! و في الليل كان الجيران يجتمعون محزونين لسماع اخبار الراديو الذي اعلن عن قتل الزعيم غيلة.
وفي اليوم التالي جاء الحرس القومي والقوا القبض على جيراننا العريف حسان الشويلي والد صديقي عدنان واقتادوه معهم وبعد أيام قلائل علمنا بانه قد اعدم واقتيد الكثير ممن كنت اعرفهم من الرجال المحيطين بنا و لم يظهروا بعد ذلك. لقد بقيت هذه الانطباعات التي اختزنتها في ذاكرتي وانا صغير مصدر حزن لا يبرح النفس برغم مرور السنين الطويلة وجراح مختزنة اهاجت الامها عودة هؤلاء ثانية بانقلاب ,١٩٦٨ ولاني كنت اعرفهم فلم احبهم في يوم من الأيام.